تفسير القرءان بالقرءان
-أنموذج من تفسير النبي ﷺ-

أ. جميلة موجاري
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة-

الملخص:

تفسير القرآن بالقرآن أصح طرق التفسير كما قال العلماء. وأول من طبق هذه الطريقة ووجه إليها الرسول ﷺ حينما قال للسائل عن معنى الظلم الوارد في قوله تعالى: ﴿الذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: 82)، ألم تنظر إلى قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: 13)، ولذلك فإن أول مصدر يؤخذ منه تفسير النص القرآني القرآن ذاته. وهذا عمل لا يقدر عليه إلا من امتلك معرفة الضوابط والقواعد الموجهة لهذا النوع من التفسير، وأول أمر يجب التقيّد به عدم الانتقال إلى إعمال العقل لبيان ذلك حتى يبحث هل ثمة تفسير بالمنقول صحيح لذلك النص أم لا؟ هذا ما سيأتي الحديث عنه في هذا المقال.

Abstract:

Interpreting the Coran by the Coran itself is the most correct method for interpretation as was stressed by scholers.

The prophet-p.b.u.h- was the first one to apply this method and to point to it, when asked by someone about the meaning of wrong as expressed by Almighty God: “those who believe and do not confuse their beliefs with wrong”-6:82. Consider what lokman said to his son: ”do not join in worship-other- with God: for false worship is indeed the highest wrong-

diong"-31-13-. That is why the first source the interpretation of the coranic text is taken from is the coran itself. Such task can not be successfully undertaken except by the one who has full knowledge of the norms and rules concerning such kind of interpretation. The first inevitable command is to avoid any move to brain activity to prove anything until we study the question whether there has been any correct interpretation of the text in the past. This is what the present paper will be about.

مقدمة:

قال ابن تيمية عن أحسن طرق التفسير: «إن أصح الطرق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر»[1].

وهذا الذي قاله ابن تيمية وأقره العلماء بعده، له أصل في تفسير النبي ﷺ، نحو تفسيره عليه الصلاة والسلام للظلم من سورة الأنعام بالشرك من سورة لقمان –كما سنرى في البحث لاحقا–، فقد وجّه ﷺ نظر من استشكل عليه معنى الظلم، إلى القرآن ذاته ليأخذ منه بيان ذلك.

ومن هنا ندرك أهمية ما قرره العلماء، من أن أصح طرق التفسير أن يفسّر القرآن بالقرآن؛ وقد توصل أكثر من باحث لهذه المسألة إلى ضرورة تقديم مزيد من

[1] – انظر: عبد الرحمن بن محمد بلقاسم العاصمي النجدي: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مج 13، ص363.

الدراسة والتحقيق[1]، بغية وضع ضوابط وقواعد معينة تعتمد على تفسير القرآن بالقرآن منهجاً واضح المعالم.

والظاهر أن علّة ما توصل إليه الباحثون؛ ترجع إلى وعورة هذا المنهج في التفسير، لذلك قال العلماء عقب الحديث عن أحسن طرق التفسير: «فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له...»[2].

والذي يعضد ما قرره العلماء؛ عملية تفسير القرآن الكريم منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا الحاضر، فالمتأمل في بعض ما جاء في تفاسير القدماء والمعاصرين، يلاحظ تفاوتا في نسبة تفسير القرآن بالقرآن بين مكثر ومقلّ، وقد يُرجع المتأمل سبب ذلك إلى عدم التزام بعض المفسرين بهذا المنهج في التفسير؛ لكن حتى من صرّح بالتزام هذا المنهج في التفسير يُلاحَظ ذلك في تفسيره[3].

وكأن الأمر أكبر من أن يُحصر في مصنف —أو أكثر— يحوي قواعد معينة وضوابط محددة، يعتمدها كل من يريد تفسير القرآن بالقرآن؛ وتكون له بمثابة العاصم من الخطأ في التفسير —بخاصة فيما لم يثبت فيه نقل عن الرسول ﷺ أو عن الصحابة رضوان الله عليهم أو عن الأئمة المعتبرين—.

خذ على سبيل المثال: مسألة تحديد وجه البيان بين النص القرآني الذي يراد

---

[1]– انظر هذا البحث، ص6 ، الهامش رقم4. وهذا ما توصلت إليه عند بحث منهج تفسير القرآن بالقرآن —دراسة نقدية لتفسير عبد الكريم الخطيب—.

[2]– انظر: مثلا مجموع الفتاوى، مج 13، ص363.

[3]– نحو تفسير الشنقيطي "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" وتفسير عبد الكريم الخطيب "التفسير القرآني للقرآن" مع الفارق الكبير في المنهج المتبع في تفسيريهما.

بيانه، والنص القرآني الذي يبيّنه؛ هذه مسألة لابد من وضع تقعيد لها من قبل العلماء المختصين، بخاصة إذا كان الاختلاف في تسمية وجه البيان بين النصين القرآنيين يترتب عليه فهم خاطئ للمعنى المقصود، ومثال ذلك حمل "معنى النسخ" الذي يذكر بين عدة نصوص قرآنية على اصطلاح الخلف، بينما المقصود منه أعم إذا حكي عن السلف.

وحتى إذا لم يترتب عليه الفهم الخاطئ للمعنى، فإن التزام المصطلح المطابق لوجه البيان بين النصين القرآنيين، ضرورة لا مناص منها في المنهج. ولذلك يلاحظ المتأمل في الطريقة المتبعة عند المفسرين بصفة عامة، وهم يفسرون نصوصا قرآنية؛ بنصوص قرآنية الاكتفاء بالقول: "هذه الآية بيان لقوله تعالى" أو "هذا النص يجمل فصله قوله تعالى"...وغير ذلك من العبارات التي لا يقصد منها الالتزام بمصطلح ما.

لكن إذا اختلف في تعيين وجه البيان بين نصين قرآنيين؛ كأن يقول أحدهم: عام خصّص، ويقول آخر: مطلق قيّد، ويقول ثالث: مبهم بيّن...، فحينئذ لابد من ترجيح المصطلح المطابق لوجه البيان بين النصين؛ لأن هذه المصطلحات مختلفة من حيث الوضع الاصطلاحي لها. وهذا أمر من أمور أخرى يجب الالتزام بها عند تفسير القرآن بالقرآن.

وقد لوحظ مثل ذلك في النص القرآني الذي بيّنه الرسول ﷺ كما سنرى لاحقا؛ وبيان الرسول حجة لذلك الخطأ في تعيين وجه البيان ين النصين لا يؤثر على المعنى، لأن الجمع بين النصين صحيح، لكنه يؤثر على الجانب التنظيري أو التقعيدي لمسألة تفسير القرآن بالقرآن، منهجاً له قواعد وضوابط معينة، كما سيأتي بيان ذلك:

أولا: ثبت عن النبي ﷺ أنه فسر الظلم من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[1]، بالشرك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2]:

والحديث أخرجه الشيخان[3] عن عبد الله قال: «لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أيّنا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنّون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]»[4].

وهذا التفسير هو تفسير القرءان بالقرآن، وهو أصح طرق التفسير كما قال العلماء، وحُكمه القبول لأنّ مصدره الوحي، أما إذا كان مصدره العقل فننظر أولا في صحة الجمع بين آية سورة الأنعام وآية سورة لقمَان.

1– سورة الأنعام، الآية: 82.

2– سورة لقمان، الآية 13.

3– وغيرهما.

4– هذا اللفظ لمسلم، انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ط. المنصورة، الأزهر كتاب الإيمان، باب الإيمان وإخلاصه، رقم الحديث 124، ج1، ص338.

وأخرجه البخاري في صحيحه، ط1، دار البيان الحديثة، القاهرة، 1423هـ-2003م، في:

- كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، رقم الحديث 32، ج1، ص18.

- وكتاب أحاديث الأنبياء، رقم الحديث 3360 و3428 و3429، ج2، ص141، 160، 161.

- وكتاب تفسير القرءان، سورة الأنعام رقم الحديث 4629 وسورة لقمان رقم الحديث 4776، ج2، ص424، 476.

- وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، رقم الحديث 6918، ج3، ص337.

وفي هذا البحث نحاول تحديد وجه البيان بين الآيتين، ليكون ذلك بمثابة الضابط لقول المفسر: «هذه الآية تبين هذه الآية»، وهو يفسر آيات أخرى-لم يثبت في تفسيرها نقل صحيح- ذلك أن المطلع على تناول الآيتين بالتفسير؛ يلاحظ اختلافا في تعيين وجه البيان بينهما؛ هل هو من قبيل تخصيص العام؟ أم هو من قبيل تقييد المطلق؟ أم ماذا؟

ولمعرفة ذلك ننظر في نماذج متنوعة من حيث المنهج المتبع في تفسر هاتين الآيتين؛ أو الاستدلال عليهما والاستشهاد بهما وذلك وفق تقسيم تناول العلماء لهاتين الآيتين بالدراسة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

ويتمثل في منهج تفسير الآيتين ضمن تفسير القرءان الكريم من أوله إلى آخره. والمطلع على بعض التفاسير يلاحظ ما يأتي:

1- تفاسير لم يحدد أصحابها منهجا معينا في التفسير مثل:

- قول الطبري في تفسيره:

«اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[1]، فقال بعضهم: بشرك»[2] ويذكر من قال ذلك -أحاديثا وآثارا- «وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم، وذلك فعل ما نهى الله عن فعله؛ أو ترك ما أمر الله بفعله، وقالوا الآية على العموم، لأنّ الله لم يخص به

---

[1]- سورة الأنعام، الآية: 82.

[2]- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرءان، ط1، 1423هـ- دار الأعلام، الأردن، 2002م، دار ابن حزم، بيروت، مج5، ص318.

معنى من معاني الظلم»[1]، ويذكر من قال ذلك ثم يرجح قائلا «وأولى القولين بالصحة في ذلك، ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ، وهو الخبر الذي رواه ابن مسعود عنه أنه قال: «الظلم الذي ذكره الله تعالى في هذا الموضع هو الشّرك»[2].

– وقول ابن كثير:

«أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، و لم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة»[3]، تفسيراً للآية وهو يكمل تفسير ما سبقها ثم يذكر بعض ما ورد من أحاديث وأخبار عن النبي ﷺ وعن الصحابة في تفسير الظلم بالشرك.

– وهذا ما يؤكده القاسمي:

عند تفسير الآية[4]، ويشير إلى اتفاق الصحابة والتابعين «وقوفا مع الحديث الصحيح في ذلك المبين للنظائر القرآنية الموضح بعضها لما أبهم في بعض... أو أن المتبادر من المطلق أكمل أفراده»[5]، ويضيف أن الدليل على ذلك كون القصة من أولها إلى آخرها وردت في نفي الشركاء، لذلك وجب حمل الظلم على الشرك[6].

---

[1]- المصدر السابق، ص322.

[2]- المصدر السابق، ص323.

[3]- إسماعيل ابن كثير، تفسر القرءان العظيم، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1423هـ-2002م، مج3، ص52.

[4]- محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: أحمد بن علي، حمدي صبح، دار الحديث، القاهرة، ط1424هـ-2003م، مج4، ص420.

[5]- المصدر السابق، ص421.

[6]- المصدر السابق، نقلا عن الرازي –بتصرف–.

- ويقول الشعراوي:

بل إن «الآية تدل بمعطياتها على أن ذلك الظلم هو المتعلق بالإيمان لا بالعمل»[1]، بعد إشارته إلى توضيح الرسول ﷺ لمعنى الآية بطلب من الصحابة[2].

2- تفاسير صرح أصحابها باتّباع منهج تفسير القرءان بالقرءان مثل:

- تفسير الشنقيطي:

الذي اكتفى بالإشارة إلى ثبوت ذلك المعنى عن النبي ﷺ مضيفا: وقد بينه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3]، وقوله: ﴿وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[4]، وقوله: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[5].[6].

---

[1]- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، دط، مج6، ص3763.وهو تفسير معاصر عظيم النفع في بابه.

[2]- المصدر السابق، ص3762.

[3]- سورة لقمان، الآية 13.

[4]- سورة البقرة، الآية: 254.

[5]- سورة يونس، الآية: 106.

[6]- محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرءان بالقرءان، دار الحديث، القاهرة، ط1426هـ-2006م،ج2، ص134. (بتصرف).

- وتفسير عبد الكريم الخطيب:

«...ولبس الإيمان بالظلم هو خلطه به... والظلم هو الشرك بالله كما يقول سبحانه ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [1]...»[2]. كجزء لا يتجزأ من معنى سياق الآية -ما سبقها- وهو يفسرها.

القسم الثاني:

ويتمثل في تعيين المسألة التي استدل أو استشهد فيها علماء علوم القرءان -بصفة خاصة- بهذا الحديث؛ فهل ذكر في مسألة المطلق والمقيد؟ أم في مسألة العام والخاص؟ أم في مسألة المجمل والمبين؟ مثلا:

1- الزركشي في البرهان ذكره:

- مثالاً في مسألة أمّهات مآخذ التفسير[3].

- ومثالاً عن التوجيه النبوي إلى بيان القرءان بالقرءان[4].

---

[1]- سورة لقمان، الآية: 13.

[2]- عبد الكريم الخطيب، التفسير القرءاني للقرءان، دار الفكر العربي، ج4، ص227.

[3]- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرءان، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ط1427هـ-2006م، ص421. ونقله عنه السيوطي -انظر الإتقان، ص860.-وسيأتي بيان النشر في ص6-

[4]- المصدر السابق، ص437.

2- السيوطي في الإتقان ذكره:

- في فصل أسباب النزول وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1].

- ومثالاً على ضرورة النظر وسؤال الرسول ﷺ لمعرفة دقائق التفسير[2].

- ومثالاً على أن من أمهات مآخذ التفسير النقل عن النبي ﷺ نقلا عن الزركشي.

3- عبد الرحمن العك في أصول التفسير وقواعده:

ذكره مثالاً عند حديثه عن معرفة أسباب النزول ومكانته في التفسير قائلا: «وقسم يبين مجملات ويدفع متشابهات... حديث عبد الله بن مسعود...»[3]. ويذكر الحديث.

والملاحظ أن القسم الأول كان أقرب من تعيين الإجابة عن إشكالية البحث من القسم الثاني، فماذا عن القسم الثالث الذي يفترض اقتراب تناوله للحديث من الهدف أكثر من القسمين الأول والثاني؟

القسم الثالث:

هناك من خصص مسألة "تفسير القرءان بالقرءان" بالبحث والدراسة؛ للحاجة إليها كمنهج واضح المعالم في مصنف مستقل يعتمد أو يُرجع إليه، والنتيجة التي

---

[1]- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرءان، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1425هـ-2004م، ص87.

[2]- المصدر السابق، ص850. نقله عنه: الزرقاني في مناهل العرفان، ط3، 1419هـ-1999م، ج2، ص10.

[3]- أصول التفسير وقواعده، ط2، دار النفائس، بيروت، 1406هـ-1986م، ص101-102. نقلا عن مقدمة كتاب التحرير والتنوير -بتصرف- كما قال، ص100.

سجّلت[1] ضرورة تقديم مزيد من البحث لهذه المسألة، وليس أدل على ذلك من طريقة الإفادة من هذا التفسير النبوي بعدِّه مصدرا هاما تُستخلص منه بعض معالم هذا المنهج وهذه أمثلة:

1- رسالة دكتوراه بعنوان "تفسير القرءان بالقرءان –دراسة تاريخية ونظرية–": جاء فيها أن النبي ﷺ قد «علم أصحابه عمليا كيف يفسرون القرءان بالقرءان وذلك بحمل نصوصه بعضها على بعض، حتى تتضح المعاني الملتبسة ويزول الإشكال... كقوله ﷺ «أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه؟ ... ففي هذا الحديث فسر رسول الله ﷺ لفظ "الظلم" بالشرك استنادا إلى هذه الآية من سورة لقمان، وهو من ترجيح أحد المعاني المحتملة بآية أخرى أوضح في سياقها ...»[2].

2- بحث[3] ومقال[4] كلاهما بعنوان "تفسير القرءان بالقرءان" جاء فيهما ذكر الحديث مثالاً على تخصيص العام ووجها من أوجه بيان القرءان بالقرءان، فلفظ الظلم عام خصه الرسول ﷺ بالشرك.

فوجه البيان إذن بين آية سورة الأنعام وآية سورة لقمان هو تخصيص عام –

---

[1]- محمد قجوي، تفسير القرءان بالقرءان –دراسة تاريخية ونظرية–، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراز، فاس، 2000–2001م، ج1، ص8–9 ومساعد في شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ط2، دار ابن الجوزي، السعودية، 1428هـ، ص278. وما تضمنه مقال د.أحمد بن محمد البريدي وبحثي لهذه المسألة...

[2]- ج1، ص22.

[3]- لمساعد بن سليمان الطيار: مصادر التفسير (1) تفسير القرآن بالقرآن، ص3–4.

[4]- د.أحمد بن محمد البريدي: تفسير القرآن بالقرءان، ج2، ص2–3.

وبتحفظ- كما جاء في هذين البحثين أو هو تعين أكمل أفراد المطلق، أو بيان مبهم كما قال القاسمي فأي وجه من أوجه البيان يندرج تحتها هذا الحديث؟

ثانيا: والجواب الراجح:

أ- يتمثل -مثلا- في طريقة تناول الشاطبي للآيتين بالتفسير: كل واحدة على حده، أو مجتمعتين من خلال الحديث الصحيح، وأن وجه البيان ليس هو تخصيص عام، وإنما هو تقييد مطلق، وهذا الذي صرّح به القاسمي ويؤكده شرح النووي للحديث: «...الظلم المطلق هناك المراد به هذا المقيد، وهو الشرك»[1].

والذي رجح رأي الشاطبي كإجابة عن إشكالية البحث ثلاثة أسباب:

الأول: ويتمثل في طريقة تناول الآيتين تفسيرا أو استدلالا من خلال النماذج السابقة.

الثاني: ويتمثل في ضرورة تحديد حقيقة مصطلحات: العام والخاص، المطلق والمقيد، المبهم والمبيّن؛ لمعرفة ما يدخل تحت كل نوع منها من الآيات المفسرة لآيات أخرى. لأنّه عند الرجوع إلى المصادر التي عُنيت ببيان هذه المسائل: كالبرهان للزركشي[2] والإتقان للسيوطي[3] وأصول التفسير وقواعده للعك[4] ومباحث في علوم

1- صحيح مسلم بشرح النووي، ج1، ص338.

2- ص338، 340.

3- ص506، 507، 541.

4- ص380، 384، 405، 406.

القرءان لمنّاع القطان[1]؛ تتبين حاجة كل مسألة للدراسة.

الثالث: ويتمثل في تميّز نظرة الشاطبي للنص القرءاني بالدقة والشمول تفسيرا أو استدلالا سواء أكان النص:

- مستقلا- أي الآية بإفرادها-.
- أم في سياقه الخاص- من خلال سورته-.
- أم في سياقه العام -من خلال القرءان كله-.

فضلا عن تنبيه القارئ على فوائد كثيرة لا بد من الأخذ بها في تفسير القرءان الكريم نحو:

- حقيقة البيان -أي التفسير- في الجمع الصحيح بين المبيَّن والمبيِّن.
- اللّبس الذي حصل للصحابة في هذا المثال ليس خطأً في الفهم[2].
- التنبيه للرواية التي تفيد أكثر في فهم النص -لأنّ الحديث روي بألفاظ مختلفة-
- ضرورة معرفة المقصد من استعمال اللفظ هل يقصد به الاستعمال الأصلي -أي اللغوي- أم الاستعمال الاصطلاحي -الشرعي-؟
- بل نبّه على نفي القول بأنّ هذا من تخصيص العام.

---

[1]- ط3، 1421هـ-2000م، مكتبة المعارف، الرياض، جاء فيه مثلا: العام هو اللفظ المستغرق لما يصلح له من غير حصر وقال في الهامش أن الآمدي انتقده ثم علق قائلا: "لم أجد تعريفا أتم منه"، كما انتقد تعريف الخاص، ص226. وعن المطلق والمقيد يعتمد على الإتقان كما صرّح، ص253.

[2]- مثلا: جاء في كتاب: نقد الصحابة والتابعين للتفسير، د.عبد السلام بن صالح بن سليمان الجار الله، ط1، دار التدمرية، الرياض، 1429هـ-2008م، عن حال الصحابي: «فإذا أتى النبي ﷺ وبين له خطأ فهمه»، ص44.

ب- كل هذا رجح اختيار رأي الشاطبي، إجابة عن إشكالية البحث، فقد جاء في الموافقات:

1- من الأمور المطلقة المنهي عنها الظلم. وكما ينهى عنه جملة، ينهى عنه تفصيلا. وأعلاه الشرك بالله قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [1].[2]

2- ولذلك كان الناس من السلف الصالح، يتوقفون في مثل هذه الأمور المطلقة في مدلولاتها، مثل هذا الحديث الذي بيّن فيه الرسول ﷺ الظلم في الأنعام بالشرك في لقمان -لتبادر فهم الصحابة شموله المراتب الأخرى-[3].

3- «قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82]، سياق الكلام يدل على أن المراد بالظلم أنواع الشرك على الخصوص، فإنّ السورة من أولها إلى آخرها[4] مقررة لقواعد التوحيد، وهادمة لقواعد الشرك وما يليه،...

وسبب احتمال النظر ابتداء أن قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾

---

[1]- سورة لقمان، الآية: 13.

[2]- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: عبد الله دراز، ط1427هـ-2006م، مج2، ص3، ص100 (بتصرف).

[3]- المصدر السابق، ص100 (بتصرف).

[4]- ولمن يريد مزيدا من التوضيح، انظر تفسير هذا النص عند المفسرين المعاصرين الذين يعتمدون على السياق القرآني العام والخاص؛ أي على الوحدة الموضوعية للصورة القرآنية وللقرآن كله في التفسير، مثلا: سعيد حوى الأساس في التفسير ، ط2، دار السلام، شارع الأزهر، 1989م، مج3، ص1697. ومحمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط1، دار القرآن الكريم، بيروت، 1999م، 312/1.

[الأنعام: 82]، نفي على نكرة، لا قرينة فيها تدل على استغراق أنواع الظلم،... بل في السورة ما يدل على أن ذلك النفي وارد على ظلم معروف[1]، وهو ظلم الافتراء على الله والتكذيب بآياته، فصارت الآية من جهة إفرادها بالنظر في هذا المساق، مع كونها أيضا في مساق تقرير الأحكام مجملة في عمومها، فوقع الإشكال فيها، ثم بيّن لهم النبي ﷺ أن عمومها إنما القصد به نوع[2] أو نوعان من أنواع الظلم، وذلك ما دلت عليه السورة، وليس فيه تخصيص على هذا بوجه»[3].

ثالثا: وفي الختام نقول إن:

أ- مسألة "تفسير القرءان بالقرءان" منهج قائم بذاته له معالم وضوابط معينة لا تزال في حاجة إلى مزيد من البحث والتحقيق لاشتمالها على مسائل كثيرة نحو: تفسير النبي ﷺ للقرآن بالقرآن، تفسير الصحابة -وربّما كل صحابي على حده- للقرآن بالقرآن، مدى

---

[1]- وهذا رد علمي من عالم على من قال بهذا الرأي. انظر مثلا: د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط2، دار القلم، دمشق، 1427هـ-2006م، ص180، حيث: 1-أورد هذا الحديث في فصل السنة المخصصة لعامّ القرءان. 2-ذكر هذا السبب لعموم الآية.

[2]- إن الرجوع لأكبر عدد ممكن من مصنفات السلف في التفسير وعلوم القرآن وعلوم الحديث يجعل بحث المسائل أكثر دقة وبيانا، انظر مثلا ما يقوله الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق مصطفى بن العدوي، ط1، مكتبة فياض ، المنصورة، 2009م، ص402.

[3]- المصدر السابق، ص192-193. ولمزيد من الشرح والبيان راجع ما قاله دراز عليه في الهامش. وإذا أردت مقارنة هذا التحليل بما ذهب إليه مثلا د.مساعد بن سليمان الطيار في شرحه لمقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص43. تبين لك دقة ما جاء في الموافقات.قال الطيار: «إن هذا الحديث يدل على أنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجتهدون في فهم القرءان... فأرشدهم النبي ﷺ ... ونبههم إلى أن المعنى اللغوي الذي فسروا به الآية غيرُ مراد...» لأنّ تفسير الصحابة كان استفسارا عقب لبس حدث بمجرد سماع الآية فذكروا ما تبادر إلى الفهم للرسول ﷺ من شدّة الخوف.

إمكان تعين الآيات المقيدة لآيات مطلقة، والآيات المخصصة لآيات عامة...

ب- ضرورة الاعتماد في ذلك على المصادر القديمة لتميزها بالشمول والدقة والتأصيل -عموما- مقارنة بالمصادر الحديثة.

ج- فمثلا دقة رواية الحديث النبوي في الصحيحين: نحو إدراج الحديث نفسه في أكثر من كتاب، واختلاف لفظ الحديث... كل ذلك مهم في تحديد المراد من النص القرآني.

د- معرفة مقصود السلف والخلف من المصطلح ذاته ضرورية في البحث، نحو التنبيه الذي أشار إليه القاسمي من مقصود الصحابة «فأنزل الله الآية...» وأنه لا يراد به سبب نزول الآية.

هـــ- لا بد من التعويل على مقصود المؤلّف من تصنيفه بالقراءة الكلية الدقيقة له، لا على العنوان الذي يجعله له.

و- ثم إن اختلاف زوايا النظر للمسألة ذاها لا يلزم منه تخطئة أحد الناظرين.

ي-حاجة المعاصرين إلى التنظير لمسائل معينة في مصنفات مستقلة، لا يعني عدم تطرق القدماء لها، لأنّ الواقع يؤكد أن اختلاف الحاجة المعرفية عبر العصور، يؤدي إلى اختلاف المنهج والشكل في تقديم مضمون نفس المسألة.

هذا ويمكن القول إن جمع الحديث وتقليب النظر في متون رواياته، والتأمل في اختلاف اللفظ: تارة ألا تسمعون، وأخرى فأنزل الله، وثالثة ليس كما تظنون... له عظيم النفع في كيفية الجمع بين الآية المبيَّنة والآية المبيِّنة لها، لأنّ هذا البحث عرفنا على كيفية تعامل العلماء المختصين مع الآيتين باعتبار تفسير الثانية للأولى بنص الحديث، ومن ثم زاد التأكيد على حاجة المسألة الكلية التي ينتمي إليها "تفسير القرءان بالقرآن" إلى مزيد من البحث والدراسة والله نسأل التوفيق في ذلك.